تأملات في النوروز

بقلم :الدكتور محمود روح الاميني

الانسان ومنذ السنوات الأولى لحياته الاجتماعية، منذ ان كان يعيش على الصيد ويتغذّى على النباتات، لاحظ عودة واياب بعض الظواهر الطبيعية، أي تكرار الفصول .بات يميز بين وقت البرد القارص وموسم الازدهار، وقت التزاوج بين الطيور والدواب .الحاجة لحساب الوقت في عصر الزراعة، اي الحاجة الى معرفة وقت الزراعة والحصاد، كانت السبب في ايجاد الفصول والتقويم الزراعي.

لا شك ان الحسابات الاولى للفصول في المجتمعات تمت على اساس شكل القمر الذي كان يسهل رؤيته الجميع .ولكن بعد ان ظهرت اوجه القصور والتناقضات في هذا التقويم والتقويم الزراعي وعدم انسجامها، تم تعديلها بالانتقال الى التقويم الشمسي الذي كان مبنيا على دورة كاملة للشمس في منازلها.
السنة عند الايرانيين لم تكن موسما واحدا دائما، فاحيانا كانت تشتمل على فصلين فقط :الشتاء عشرة أشهر والصيف شهران، واحيانا كان الصيف سبعة اشهر) بدءا من فروردين ٢١/مارس وحتى آبان ٢١ /أكتوبر (والشتاء خمسة أشهر) بدءا من آبان ٢١ /أكتوبر وحتى فروردين ٢١/ مارس(، واخيرا وقبل فترة طويلة جدا تم تقسيمها الى اربعة فصول .
فضلا عن ايران " فان اعوام واشهر السغديين، الخوارزميين، السيستانيين في الشرق والكابادوكيين والارامنة في غرب ايران، ايضا كانت ذات الاعوام والاشهر الايرانية بلا زيادة أو نقصان.

بدء السنة

يعتقد علماء الأنثروبولوجيا ان حساب بداية السنة، بين كافة القبائل والاقوام القديمة، منذ حقبة الزراعة كان مصحوبا بمرحلة من الزراعة والحصاد، وهذا هو السبب في ان بداية السنة الجديدة في غالبية الدول والاديان كانت في الايام الاولى من الخريف او الشتاء أو الربيع.
بداية السنة الايرانية لم تكن ثابتة وكانت تتبدل بين حين وآخر، ولكن حمزة الاصفهاني في كتاب" سني ملوك الارض والانبياء"، و ابوريحان البيروني في" الآثار الباقية "يقولان بان بداية السنة الايرانية، ومنذ بداية البشرية) اي بداية الالفية السابعة من تاريخ الكون (كانت في يوم هرمز من شهر فروردين ..حين كانت الشمس في خط الزوال وفي نقطة الاعتدال الربيعي، وبرج السرطان.

نشأة الاحتفال بالنوروز

الاحتفال بالنوروز في الادب الفارسي شأنه شأن الديانات والعادات والثقافات والحضارات الأخرى يعزى الى الملوك الاوائل .
شعراء وكتاب القرنين الرابع والخامس الهجريين، مثل :فردوسي، منوجهري، عنصري، البيروني، الطبري، المسعودي، مسكويه، الغرديزي وغيرهم الكثير، كانت مصادرهم التاريخية والاسطورية نابعة من المصدر الادبي للاسلام، وكانوا يعتبرون النوروز واقامة احتفال النوروز بانه يعود الى عهد الملك جمشيد، وعلى سبيل المثال نشير الى عدة نماذج في هذ المجال :

اجتمع العالم حول عرشه
وهذا يكشف عن حسن طالعه
نثروا الجواهر على جمشيد
ولذلك وصف باليوم الجديد
في بداية السنة هرمز الصالح
بجسم سليم وقلب طاهر
في اليوم الجديد الملك الجديد
جلس على العرش في اليوم السعيد
الشيوخ نظموا حفلا للفرح
وطلبوا الشراب والقينات

محمد بن جرير الطبري يعتبر النوروز بانه بداية عدل جمشيد:

جمشيد قال للعلماء، في ذلك اليوم الذي اجلس للقضاء، يجب ان تتواجدوا انتم ايضا حتى تظهروا ما فيه العدل والقسط لاقوم بتطبيقه .وذلك اليوم الذي جلس فيه للقضاء كان يصادف يوم هرمز من شهر فروردين .لذلك اصبح سنة منذ ذلك الزمان.

ابوريحان البيروني يعتبر طيران جمشيد بانه منشأ الاحتفال بالنوروز :حين صنع جمشيد لنفسه عجلة، ركبها في هذا اليوم، الاجنة والشياطين حملوه في الهواء، وسافر من جبل دماوند الى بابل في يوم واحد، الناس استغربوا وذهلوا من هذا الامر واحتفلوا بهذا اليوم، ولاجل رؤية هذا اليوم يجلسون على الارجوحة ويتأرجحون.

وبحسب الغرديزي فان جمشيد اقام حفل النوروز لشكر الله، لانه ابعد الحر والبرد والمرض والموت عن الناس وكان على هذا المنوال لثلاثمائة عام." وفي هذا اليوم ايضا " ركب جمشيد على عجل وتوجه نحو الجنوب لحرب الشياطين وقاتلهم وانتصر عليهم واستعبدهم.

وأخيراً كتب خيام :ان جمشيد احتفل بعيد النوروز بمناسبة عودة الشمس إلى برج الحمل .السبب في احتفال نوروز هو ان الشمس كانت تدور دورتين حول نفسها، في احدها تعود الى برج الحمل بعد ثلاثمائة وخمسة وستين يوما، لكن لم يكن بامكانها العودة في نفس الدقيقة من السنة القادمة، لأنه كان ينقص بعض الوقت منها في كل عام، وبما ان جمشيد، وصل في ذلك اليوم سماه نوروز) يوم جديد (واحتفل به، واقتدى به الملوك والشعوب الأخرى من بعده.

الجدير ذكره أن احتفال النوروز كان يقام قبل جمشيد، حتى أبوريحان الذي كان ينسب الاحتفال لجمشيد، يقول" احتفل جمشيد بذلك اليوم الذي كان يوما جديدا، رغم انه كان يتم تعظيم وتبجيل نوروز قبل ذلك ايضا ." بغض النظر عن إيران، فلدينا معلومات عن اقامة احتفالات وطقوس في اوائل الربيع بمناطق آسيا الصغرى واليونان .ففي منطقة اليونان اقام الاله" آتيس "احتفالات على شرف آلهة الخصوبة" سيبيل "والمعروفة بالالهة الام، تزامنا مع دخول الشمس في برج الحمل والاعتدال الربيعي .ويشير المؤرخون الى اقامته في عهد الملك اغسطس في جميع أنحاء إقاليم فيري، ليديا والأناضول .لاسيما الاحتفال الكبير الذي كان يقام على مدى ثلاثة أيام من ٢٨-٢٥ مارس ٧-٤) من شهر فروردين .(

صدرالدين عيني يقول حول اقامة احتفالات النوروز في طاجيكستان واوزبكستان" ...:في بداية الربيع تستعيد النباتات نشاطها وهذا هو موعد حلول العيد، ولذلك فان طبيعة الانسان ايضا تنشط .ومن هنا يقول اهالي طاجيكستان " الحمل، كل شيء في العمل ." وفي الحقيقة ان هذا العيد هو بمثابة مرحلة لنمو الغلال والبقوليات وبدء عملية الزرع والعمل وحصاد المنتجات الزراعية التي تشبع الانسان وتكون السبب في بقائه وحياته .وفي جانب اخر يقول ":في منطقة بخارا كانوا يعظمون عيد النوروز كثيرا باعتباره العيد الوطني لجميع الناطقين باللغة الفارسية .حتى العلماء الدينيين كان قد صبغوا هذا العيد الذي يعود تاريخة الى ما قبل الاسلام وكان يعتبرا تقليدا وطنيا، بصبغة دينية اسلامية واستفادوا منه ولم يتركوه حتى بعد ان اسلموا . ووصل الامر الى انهم كانوا يكتبون آيات السلام السبع في القران ويغسلونها بالماء ومن ثم يشربونها في نوروز .ولكن مما لا شك فيه ان اقامة هذا الاحتفال بشكل واسع ومبهر من قبل جميع الاجهزة والمؤسسات الحكومية والاهلية وكافة الشرائح الشعبية، هو من السمات البارزة لايران، وهو التقليد الذي بقي قائما من قديم الايام في هذا البلد رغم الحروب والنزاعات والهزائم والتغييرات السياسية، الاجتماعية، العقادئية، العلمية والتقنية التي عايشتها، وفضلا عن ذلك انتقلت الى المجتمعات والثقافات الاخرى، وعلى سبيل المقارنة يمكننا القول بانه لا يوجد في اي مجتمع او بلد احتفال يستمر عدة ايام يحظى بالاحترام الخاص من قبل العموم، سواء كان فقيرا او غنيا، كبيرا او صغيرا وبالتالي حضريا او قرويا او عشائريا كما هو حال النوروز .

ايام او شهر الاحتفال بالنوروز

مدة اقامة احتفالات مثل مهرجانات العيد الاكبر، يلدا، سده وغيرها لا تزيد عادة عن يوم واحد) أو ليلة واحدة .(

لكن الاحتفال بعيد النوروز، والذي يجدر تسميته بـ" احتفالات وطقوس النوروز"، يستمر أسبوعا أو أسبوعين على الأقل .أبو ريحان البيروني يذكر ان مدة الاحتفال بعيد النوروز، بعد جمشيد كان شهرا واحدا :عندما توفي جم، احتفل الملوك بالعيد في كل ايام الشهر .تم تقسيم الأعياد إلى ستة أجزاء :خصّصوا الأيام الخمسة الأولى للملوك، والايام الـ ٥الثانية للنبلاء، والأيام الخمسة التالية لخدام وموظفي الممالك، والأيام الخمسة الرابعة لخدام وموظفي البلاط، والأيام الخمسة الخامسة لعامة الناس والايام الخمسة السادسة للمزارعين.

يذكر الرحالة كامبفر في كتابه :في عهد الملك سليمان الصفوي، كانت تستمر الحفلات والعروض والاحتفالات في الساحة العامة لمدة ثلاثة أسابيع .اما" درو ويل "فقد كتب بان الاحتفال بعيد النوروز كان يستمر على مدى اسبوعين في عهد فتحعلي شاه .لكن احتفالات ليلة رأس السنة في وقتنا الراهن تبدأ على الأقل من يوم الأربعاء الأخير من العام وتنتهي في الـ ١٣من السنة الجديدة .

التقاليد والطقوس الموروثة من العصور القديمة، والتي انتقلت من جيل إلى جيل، ونظرا إلى التغييرات التي طرات على أنماط الحياة، التقنيات الصناعية والآلية، الدوائر، الوظائف، القوانين ووسائل الإعلام - كما سنرى -تؤدي لا محالة الى تطورات دون أن تفقد هويتها .ومن التقاليد القديمة لنوروز، يمكننا الاشار الخمسة المسترقة، احتفال الاربعاء الاخير و تنظيف المنازل .

الخمسة المسترقة

وفقا للتقويم الإيراني القديم، كل شهر من اشهر السنة ٣٠ يوما، ويشار إلى الأيام الخمسة المتبقية باسم الخمسة المسترقة، بيتك) في اللغة والتقويم المازندراني (او بهيزك) في تقويم الزرادشتية .(

وعن الخمسة المسترقة يقول ابو ريحان :كل شهر من الاشهر الفارسية هو ثلاثون يوما، وبما أن السنة الفعلية هي ثلاثمائة وخمسة وستون يوما، يسمي الفرس الأيام الخمسة الأخرى بالسنة الخماسية " او الكبيسة، وكانت الأيام الخمسة الأخرى تسمى بالأيام المسترقة، حيث لم يتم حسابها في أي من الأشهر ...وكان الاحتفال بالخمسة المسترقة ساريا حتى عام.(١٩٢٧) ١٣٠٤

وكان الاحتفال بالايام الخمسة المسترقة تقليدا سائدا بين كافة الشرائح الاجتماعية .الى درجة انه في عام ١٣١١ هجري قمري كتب احد الصلحاء فيما يخص انفاق عوائد عقاره الموقوف في منطقة استرك بمدينة كاشان ..." :وتتمة عوائد الوقف يتم شراء الارز بها في كل عام وتوزيعها في الايام المسترقة بين كافة اهالي سترك من الفقير والغني، الذكر والانثى والصغير والكبير على حد سواء ."

في التقويم الطبري حين كان نوروز يقارن شهر مرداد) الشهر الايراني الخامس (كانت تقام احتفالات الخمسة المسترقة في عهد الصفويين بالتزامن مع احتفال يوم رش الماء.